

تفسير البحر المحيط

@ 301 @ وقومه وأنها مندرجة تحت القول من قوله { قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ ° } . وقيل : قال ذلك سرًّا من قومه وسمعه رجل واحد . وقيل : سمعه قوم من ضعفهم ممن كان يسير في آخر الناس يوم خرجوا إلى العيد وكانت الأصنام سبعين . وقيل : اثنين وسبعين . وقرأ الجمهور { تَوَلَّوْا ° مُدْبِرِينَ } مضارع ولَّى . وقرأ عيسى بن عمر { تَوَلَّوْا ° } فحذف إحدى التاءين وهي الثانية على مذهب البصريين . والأولى على مذهب هشام وهو مضارع تولى وهو موافق لقوله { فَتَوَلَّوْا ° عَنذَهُ مُدْبِرِينَ } ومتعلق { تَوَلَّوْا ° } محذوف أي إلى عيدكم . وروي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببית الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاماً خرجوا به معهم ، وقالوا : لن ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا ، فلما كان في الطريق ثنى عزمه عن المسير معهم فقعده وقال : إني سقيم . وقال الكلبي : كان إبراهيم من أهل بيت ينظرون في النجوم ، وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم لم يتركوا إلا مريضاً فأتاهم إبراهيم بالذي هم فيه فنظر قبل يوم العيد إلى السماء وقال لأصحابه : إني أشتكي غداً وأصبح معصوب الرأس فخرجوا ولم يتخلف أحد غيره ، وقال { وَتَوَلَّوْا لَكُمْ دِينٌ ° } إلى آخره وسمعه رجل فحفظه ثم أخبر به فانتشر انتهى . . . وفي الكلام حذف تقديره فتولوا إلى عيدهم فأتى إبراهيم الأصنام { فَجَعَلَهُمْ ° جُذَازًا } قال ابن عباس : حطاماً . وقال الضحاك : أخذ من كل عضوين عضواً . وقيل : وكانت الأصنام مصطفة وصنم منها عظيم مستقبل الباب من ذهب وفي عينيه درتان مضيئتان فكسرها بفأس إلا ذلك الصنم وعلق الفأس في عنقه ، وقيل : علقه في يده . وقرأ الجمهور { جُذَازًا } بضم الجيم والكسائي وابن محيصن وابن مقسم وأبو حيوه وحמיד والأعمش في رواية بكسرها ، وابن عباس وأبو نهيك وأبو السماك بفتحها وهي لغات أجودها الضم كالحطام والرفات قاله أبو حاتم . وقال اليزيدي { جُذَازًا } بالضم جمع جذاة كزجاج وزجاجة . وقيل : بالكسر جمع جذيد ككريم وكرام . وقيل : الفتح مصدر كالحصاد بمعنى المحصود فالمعنى مجذوزين . وقال قطرب في لغاته الثلاث هو مصدر لا يثنى ولا يجمع . وقرأ يحيى بن وثاب جذازاً بضمين جمع جذيد كجديد وجدد . وقرء جُذَازًا بضم الجيم وفتح الذال مخففاً من فعل كسر رفي سرر جمع سرير وهي لغة لكلب ، أو جمع جذة كقبة وقب . . . وأتى بضمير من يعقل في قوله { فَجَعَلَهُمْ ° } إذ كانت تعبد وقوله { إِيَّاكَ كَبِيرًا ° } استثناء من الضمير في { فَجَعَلَهُمْ ° } أي فلم يكسر ، والضمير في { لَّهُمْ ° } يحتمل أن يعود على الأصنام وأن يعود على عباده ، والكبر هنا عظم الجثة أو كبيراً في

المنزلة عندهم لكونهم صاغوه من ذهب وجعلوا في عينيه جوهرتين تضيئان بالليل ، والضمير في { إِلَـلَـيْهِ } عائد على إبراهيم أي فعل ذلك ترجياً منه أن يعقب ذلك رجعه إليه وإلى شرعه . قال الزمخشري : وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكار لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله { بَلْ فَعَلَّاهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا فَاسْتُلُوهْهُمْ } . وقال ابن عطية : يحتمل أن يعود إلى الكبير المتروك ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام انتهى وهو قول الكلبي . قال الزمخشري : ومعنى هذا لعلمهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات ، فيقولون ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك قال : هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالاً ، وإن قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة أن يرجع إليه في حل المشكل فإن قلت : فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم فأى فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً ؟ قلت : إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على أمر عظيم . .

{ قَالُوا مَن فَعَلَ هَـذَا بِئْسَ الْفَعْلُ إِن نَّهْ لَمَنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا قَالُوا فَأُتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَعَزَّتْ فَعَلَاتِ هَـذَا بِئْسَ الْفَعْلُ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَّاهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا فَاسْتُلُوهْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّ زُكَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ زُكِّسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ هَـؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَلَا تَعْقِلُونَ } . .

في الكلام محذوف تقديره : فلما